برج بابل في النصوص المسمارية

أ.د. عبد الإله فاضل محمد نوري
كلية الآداب – جامعة بغداد

قبل البدء بوصف برج بابل في النصوص المسمارية وجب علينا أن نورد نص المؤرخ الكلاسيكي (هيرودت) إذ ذكر في النص : (في وسط الهيكل بين برج متين مقداره استادة واحدة طولاً واستادة عرضاً وفوقه برج آخر يعلوه برج ثالث وهكذا حتى ينتهي إلى ثمانية أبراج ، وأقاموا في الخارج درجاً لولبياً يصعد به إلى كل من هذه الأبراج وفي وسط الدرج ثمة مقاعد ، يستطيع الصاعدون والنازلون الجلوس عليها للاستراحة . وفي منتهى الأبراج هيكل[١] . يقصد هيرودت بهذا الوصف زقورة الآله مردوخ في بابل والمعروفة في النصوص المسمارية باسم (Etemen anki) .

وعلى الرغم من بعض المتغيرات التي حاولت الربط بين هذا الوصف وزقورة بورسيبا المعروفة في النصوص المسمارية باسم (Euriminanki) فلم يكتب لها النجاح ، ولا يمكن عدّها حقيقة . لأن النتائج الأثرية لبرج بابل (أي الزقورة) ترينا أن بقاياه تكون لحد اليوم ما يشبه المربع المبني باللبن غير المشوي ويحيط به خندق مملوء بالماء . وفي سنة ١٩١٣ م تمكن البحّاثة الأثري كولد فأي من إيجاد هذه البقايا بعد انخفاض منسوب المياه غير الاعتيادي، وفي عام ١٩٦٢ م قام المنقب الأثري (شمت) بفحص هذه الكتل من اللبن بهدف توضيح المناقشات والجدل العلمي لأصل وتاريخ العمارة لهذه الزقورة (البرج)[٢].

أن مشكلة صفوف هذه الكتل من اللبن تعطينا الصورة الآتية : أن نـــواة الزقورة تشكل صفوفاً كبيرة من اللبن غير المشوي ، وقد شيدت فيها الأســس على شكل مربع تقريباً وأن اتجاه الشمال ينحرف لجميع الجهـــات حـــوالي ١٦ درجة باتجاه الشرق وقد تم ضبط أطوال الأضلاع بالقياس الآتي[٣] :

شمالاً	٦١,١ متر	جنوباً	٦١,٢٠ متر
شرقاً	٦١,١٥ متر	غرباً	٦١,١٥ متر

أن هذه النتائج للقياسات المذكورة أعلاه تم ضبطها بعد تنقيبات ١٩٣٨ م والتي أدت إلى أن بعض البحاثة الأثريين[٤] أن يستسلموا بها ، أما قياسات عام ١٩٦٢ فلم تعطي نتائج مغايرة ، كما ذكرنا سابقاً ، وحســب ارتفـــاع منســـوب المياه الجوفية فأن قياس اتجاه شمال إلى الجنوب نحو ٦٠ متراً ومن الغرب إلى الشرق ٥٨,٥ متراً[٥] وأن بعد الانتهاء من بناء نواة هذه الزقورة من الألبن تم أكساؤها بالطابوق (أي الآجر) وقد بلغ سمك هذا الغطاء نحو ١٤ متر ، وانطلاقاً من نقط الزوايا فأن الطبقة الأرضية الأولى تعطينا القياسات الآتية[٦]:

شمالاً	٩١,٦٦ متراً	جنوباً	٩١ متر
شرقاً	٩١,٥٢ متراً	غرباً	٩١,٤٨ متراً

وأن المنقب الأثري (شمت) يعطي المعدل النهائي للمساحة الكلية بتربيع الضلع ٩١,٥٥ متراً[٧] .

أما أرضية الطبقة الأولى فيمكن الوصول إليها بواسطة سلم ، كما زينت الجهة الجنوبية بواسطة دعامات بنائية ، أما بناء الزوايا فقد تم رفعها بواسطة دعامات . وقد استخدم الطابوق الممزوج بالتبن والزفت في البناء . وقياس هذا الآجر [٣٢ سم × ٣٢ سم] أو [٣١,٥ سم × ٣١,٥ سم] وأن هذا الآجر لم يختم ليدلل لنا أنه يعود إلى بداية حكم نبوخذنصر أو نبوبلاصر[٨] .

وقد وجدت في الجهة الجنوبية بقايا ثلاثة أجزاء سلالم أثنين منها تستند إلى جسم البناء والثالث يستند إلى الأساس ويبلغ طول هذا السلم ٥١,٦ متراً، أما السلالم الجانبية فأنها تستند إلى نقطة عليا في بناء السلم الاعتيادي التي لم يمكن إثباتها ، أما بقايا السلالم الجانبية للجهة الغربية فقد وجدت بقايا ١٨ درجة ، والجهة الشرقية ٧ درجات في السيتو (Situ) . ويحيط جهتي السلم الاعتيادي حائط بسمك متر واحد وعرض ٩,٣ متر ويلتقي بصورة قائمة مع جسم الطبقة الأولى للزقورة ، أما زاوية ارتفاع السلم فتقع ما بين ٣٦ درجة و ٣٨ درجة[٩] .

ويرى بعض الباحثين أن ارتفاع السلالم الجانبية يصل إلى ٣٠ متر ، أما السلم الوسطي فيرتفع إلى ٤٠ متر ، وهذا يستمر إلى الحافة العليا للطبقة الثانية، أي إلى ارتفاع ٥١ متر ، وأن ربط هذه الأجزاء البنائية تم إحكامها بواسطة غطاء الآجر الذي ذكر في أعلاه[١٠] .

أما الأخرى للشكل الخارجي للبرج فلا يمكن معرفتها بواسطة التنقيبات والأدلة الأثرية بل هناك مصدر آخر هو الكتابات المسمارية ومنها رقيم الايسنكليلا .

رقيم الايسنكليلا (Esangila) : أن هذا الرقيم نسخة منه أصل رقيم طيني قديم من بورسبا . أما كاتب هذا الرقيم فهو (Anu-belšunu) ويرجع أصله إلى عائلة كتّاب من مدينة الوركاء . أما تاريخ هذا الرقيم فيرجع إلى سنة (٨٣) من الحكم السلوقي ٢٢٩ ق.م . وأن أول من أعلن هذا الرقيم هو العلام جورج شمت . أن دراستنا هذه هي بخصوص الأسطر ٣٧-٤٢ من هذا الرقيم والتي تخص قياسات طبقات (الاتمن أنكي Etemenanki)[١١] .

37.	15	GAR Siddu	15	Gar Putu	5.5	Gar milu pitqu saplu
38.	13	G.S.	13	G.P.	3	
39.	10	G.S.	10	G.P.	1	
40.	8.5	G.S.	8.5	G.P.	1	
41.	7	G.S.	7	G.P.	1	
41a.	5.5	G.S.	5.5	G.P.	1	
42.	4	G.S.	3	G.P.	8.5	

أن معنى هذه الأسطر يعطينا بصورة واضحة الطول والعرض والارتفاع لبطقتا برج بابل والمعروف أن وحدة القياس (Gar) التي استخدمت في الرقيم المسماري فأنها تتكون من ١٢ ذراعاً أي (amâtu) وأن كل (amâtu) يقدر بحوالي ٠,٥ نصف متر ، ولهذا فأن مقدار كل (Gar) يساوي (٦) أمتار ، وعند عمل جدول بالقياس المتري للطبقات تكون الصورة على النحو الآتي :

السطر	الطول	العرض	الارتفاع
٣٧	٩٠	٩٠	٣٣
٣٨	٧٨	٧٨	١٨
٣٩	٦٠	٦٠	٦
٤٠	٥١	٥١	٦
٤١	٤٢	٤٢	٦
(٤١ أ	٣٣	٣٣	٦)
٤٢	٢٤	٢١	١٥

وبهذه الصورة فأن رقيم الايسنكيلا يعطي القياسات الكلية للبرج أي الطول والعرض والارتفاع (١٢) . ومن الإضافات البسيطة في صفوف الآجر وبعض الهفوات البنائية يمكن أن تعطينا النتيجة النهائية و ٩١,٥ متر . وهنا

يمكن أن نتساءل عن هذا الارتفاع لأن الرقيم لا يحدد ذلك ولا يمكن الاعتماد عليه بصورة نهائية لأن مجموع الارتفاع تعطيه الأسطر ٣٧-٤٢ [ماعدا السطر (٤١ أ) إضافة الباحثون] هو (١٤ Gar) أي ٨٤ متر . أن الباحثين القدامى أمثال دومبارت[١٣] وموبرك[١٤] وأونكر[١٥] وآخرون[١٦] اتفقوا على رفع هذه الهفوة التي قام بها (جورج شمت) بإضافة سطر (٤١ أ) بين سطر (٤١) وسطر (٤٢) والتي تركها كاتب الرقيم نفسه . والمعروف أن حتمية القياسات لتتابع الطبقات تأخذ من تتابع الأسطر في الرقيم . وبهذا فأن واحداً (rikbu) من ارتفاع واحد (Gar) و ٥,٥ (Gar) طولاً وعرضاً فأن الشاخورو (šaḫuru) في السطر (٤٢) لا يمكن أن يدل على ارتفاعه بل هو مجرد في ٢,٥ (Gar) . وبهذا فأن هؤلاء البحاثة قد أعطوا صورة لإعادة برج بابل بسبع طبقات غير متساوية الارتفاع[١٧] وقد أعطي بعض البحاثة المحدثين تفسيراً جديراً لرقيم الاسنكيلا[١٨] والذي أيدته فئة أخرى من الآثاريين اللغويين[١٩]. وأن التفسير الجديد قد جاء من فكرة عدم إضافة السطر (٤١ أ) وأن الارتفاع الكلي المطلوب يعطي بعد أن يعدّ السطر (٤٢) على أنه يتألف من طبقتين وعلى النحو الآتي:

(أ) أن الفقرة (٧) من رقيم الايسنكيلا التي تعين موضع المعبد العالي (nuḫar) والذي يكون بمقياس ٤ – ٣,٥ (Gar) وبهذا يمكن إعادة معرفة Kissu elu[٢٠] .

(ب) أن نقصان (Gar) لـ ٩٠ متراً يأتي من أن الشاخورو (Saḫuru) الذي يعني عند اللغويين (الغرفة العليا)[٢١] أي (Šibu šaḫuru) وبعدها (rikbu šibu) .

الذي ساعد على العمل في معرفة ذلك والذهاب إلى الأبعد إن النقص في الارتفاع يضاف في نهاية النص وليس في وسطه . وأن هذا التحليل جعلهم يعتقدون أن برج بابل يتألف من خمس طبقات غير متساوية وطبقتين متساويتين

ومتشابهتين ، وأن (Kiṣṣu elu) مع الشاخورو (Saḫuru) تؤلف بناءً ذا وحدة واحدة وبارتفاع ٢١ متر[٢٢] (أنظر شكل ٢) . ويقف بعض الباحثين مع الرأي القديم أي بإضافة السطر (٤١ أ) لرقيم الايسنكيلا ويضعفون الشاخورو (Saḫuru) كطبقة منخفضة فوق المعبد العالي ويوضحون ذلك بالقول : [برأينا أن صورة إعادة بناء البرج كما في الشكل (١) مع إضافة غرفة صغيرة للشاخورو (Saḫuru) على القمة][٢٣] . واعتمد بعض الباحثين على نص (هيرودت) بإضافة السطر (٤١ أ) لرقيم الايسنكيلا وإضافة الشاخورو وتقسيم الطبقة السابعة وجعل القاعدة بعلو (٦) أمتار و (٩) أمتار للمعبد العالي وهذا يعطينا ثمان طبقات .

أما الباحث أونكر (Unger) فيعتقد أن الطبقة الثامنة التي أوردها هيرودت في كتاباته فأنه يوضحها بإضافة طبقة الأساس أي الكيكالو (Kigallu)[٢٤] وبهذا يدحض ضمنياً معرفة (هيرودت) في التفاصيل البنائية وبهذه العمومية التي لا يمكن الأخذ بها . وورد ذكر برج بابل في نصوص كتابية أخرى وهي [النصوص الملكية] . فالمعروف أن الملك البابلي نبوبلاصر قد خطط لبناء الزقورة[٢٥] وأن بعض علماء الآثار يعتقدون أنه لم يجر أي تغيير على هذا المخطط في زمن الملك البابلي الشهير نبوخذ نصر الثاني (نابو كودورو اوصر) إذ وصف هذا الملك في إحدى نصوصه المراحل البنائية للزقورة (أي البرج) على النحو التالي :

VAB, NKN 17 COLL III 2. 1.5

سورد جعلته يرتفع (٣٠) ذراعاً ولم ترفع قمته (وهذا يعني أن البناء لم يكمله) ويستطرد الملك نبوخذ نصر في نفس النص قوله : [ملوك البلدان البعيدة جلبو خشب الأرز القوي من جبال لبنان إلى مدينتي بابل أناس كثيرون من أمم كثيرة أصبحت ، انا لبناء الاتمننكي (Etemenanki) ليعملوا في خدمة وعندما

ملأت أسسه عملت (منصة صرح) بارتفاع (٣٠) ذراعاً/أعمدة غليظة من شجر الأرز وجذور كبيرة (أي أعمدة) من أخشاب (مكان) كسوتها انا بالبرونز] . ويرى بعض علماء الآثار أمثال كولد فاي في كتل وصفوف اللبن ما هي إلا بقايا الزقورة القديمة وأن عملية اكسائها بالآجر تمت على يد نبوبلاصر ونبوخذ نصر، أما المنصة (الصرح) ورد ذكرها في العمود الثالث سطر (٢٦) والتي ترتفع ٣٠ ذراعاً (ammâtu) فأن إعادة إملائها بطابوق (أي الآجر) من سورنبو بلاصر ، لكن تنقيبات شمت تترك خارج حدود النقاش العلمي إذ أن كتل وصفوف اللبن التي شيدت منها طبقات البرج التي تعود إلى ما قبل الكلدانيين[٢٦] وأن سور الآجر الذي يعود إلى عهد نبوبلاصر كان يحيط بالبناء وعند موت الملك كان سور الآجر على ارتفاع (١٥) متراً ويعتبر من خزين أنقاض الزقورة المتهدمة كما يعتقد (شمت) وأن هذه البقايا كانت لحد الطبقة الثانية أي نحو بحدود ارتفاع (٥١) متراً[٢٧] . أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو (الحشوة) للبرج أي الزقورة [من نفس النص الملكي عامود (٣) سطر (٢٦)] والذي يطابق الارتفاع هنا من باب الصدفة مع العمود الثالث سطر (٥) وبهذا يرينا القسم الأسفل من البناء ولحد المعبد العالي[٢٨] وكما جاء في نفس النص المذكور من خلال استيراد خشب الأرز وأكساءها بالبرونز ، أن مثل هذه المواد لا حاجة لاستخدامها في القسم الأسفل من بناء البرج . وبهذا يكون موقع الحشوة (أي إملاءها) مباشرة على أنقاض البناء الأقدم عهداً وكحشوة فاصل ما بين واحد (rikbu) (الطبقة الثانية) وقاعدة البناء للمعبد العالي . وإذا أدخلنا في حساباتنا حالة الاستعجال أو عدم فهم الكاتب لرقيم الايسنكيلا فأنه ذكر الطبقات الثلاث (وحسب رأي بعض الباحثين) من دون إضافة (السطر ٤١ أ) وبهذا يعطي لهذا القسم من البناء ارتفاع ١٨,٣ أي (٣) وأربع طبقات (مع إضافة سطر ٤١) وبذلك يصبح الارتفاع ٢٤,٤ متر أي (٤) وإذ رجعنا إلى النص الملكي فأن (٣٠) ذراع المذكورة وهو وحدة قياس بالنسبة لرقيم الايسنكيلا فأن (٣٠) ذراعاً

تعادل ٢٢,٨٩ متراً وأن هذا القياس ينقص بـ ١,٥ متراً من أصل ٢٤,٤ متراً مقابل زيادة ٤,٥ متراً من أصل ١٨,٣ متراً ولا يعدّ هذا حلاً نهائياً ولكن يبقى كفرصة فقط وقد استخدم نص هيرودت (الكتاب الأول فقرة ١٨١) كأحد مصادر البحث في إعطاء الشكل الخارجي للبرج (أي الزقورة) والذي استمر الحديث دائماً بوصفه برجاً ذا ثمان طبقات والتي تعادل ثمانية أبراج . ومع ذلك فيبدو أن نص هيرودت غير واضح نسبياً وليس هناك تشابه بين رقيم الايسنكيلا ومقولة هيرودت بهذا الخصوص وأن ما يضعف رأي هيرودت أيضاً أنه لم يأت ذكر للسلم الأمامي . وأن تنقيبات (شمت) تلقى ضوءاً جديداً على هذه النقطة وأن المتتبع لرأي هيرودت فأن البرج له سلم حلزوني فقط للصعود (أنظر هيرودت الكتاب الأول فقرة ١٨١) . ويمكن القول بأن هذا الحل للسلم على الطريقة الحلزونية ، مع العلم أن هذه الظاهرة البنائية نادرة نسبياً في العراق القديم ويمكن اعتبار زقورة ضرسباد (دورشاروكين) أحد هذه الظواهر النادرة (٢٩) والتي تبدو للناظر ليست سلماً اعتيادياً وإنما سلم دائري وكذلك معبد أشور – أدد في مدينة أشور (شرقاط الحالية) والذي يحتوي على برج ذي طبقتين فهو كذلك ليس له أي سلم اعتيادي فأن البناء (أي المعمار) استخدم بناء المدخل على شكل سلم دائري . ولكن أكثر البحاثة الأثريين المختصين بتاريخ العمارة العراقية يؤيدون فكرة وجود سلم اعتيادي إلى سطح الطبقة الثانية في البرج(٣٠) وبعدها يمكن القول بأن هناك سلماً حلزونياً يربط الطبقات المتبقية كما جاء في زقورة خرسباد أو أن السلم الاعتيادي يتصل بالمعبد العالي .

وعلى اعتبار أن هيرودت رأى برج بابل Etemenanki في حالة ولم يشاهد السلم الاعتيادي للبرج ، فهذا يعني أن السلم الوسطي أصيب بأضرار بالغة وأن قشرة الآجر قد تهدمت ووصل هذا الهدم لحد نواة البناء من اللبن(٣١) وتخبرنا المصادر الكلاسيكية بأن هذه الأضرار التي أصابت البرج حصلت في

زمن احشويرش الفارسي عام ٤٨٢ ق.م إذ جاء على لسان كاتسياس Ktesias أن احشويرش قد قام بهدم معبد بيلB el وأن هذه الرواية لم يتطرق إليها هيرودت . ويعتقد (شمت) أن الهدف منها هو جعل برج الاتيمنكي Etemenanki من دون سلم وإلى ذلك ذهب باحثون آخرون أمثال دورمبارت ١٩٢٧[٣٢] . وأن هيرودت عند زيارته إلى مدينة بابل عام ٤٥٨ ق.م قد شاهد البرج بدون سلم اعتيادي وأنه مصاب بأضرار بنائية بالغة . ويرى البحاثة دورمبات في ذلك دعما لرأيه وأن الطبقات (٣-٦) كانت مرتبطة بسلم دائري ، وبما أن هيرودت قد ذكر ذلك فيمكن القول أن تصور هيرودت لبرج بابل يعتبر الأول من نوعه (لإعادة تصوير بناء البرج) وكذلك يعدّ الطبقة الأولى والثانية مرتبطة بسلم دائري أي (حلزوني) (هيرودت ، الكتاب الأول ، فقرة ١٨١) وأن نتائج التنقيبات الأثرية عام ١٩٦٢ توضح لنا (لماذا صورة البرج عند هيرودت تختلف عن حقيقة البناء الفعلية) ويمكن القول أيضاً أن رقيم الايسنكيلا لم يذكر شيئاً عن السلم الاعتيادي . ويوضح ذلك بعض العلماء[٣٣] فمداخل أو (فتحات) الصعود لا تعتبر من جوهريات بناء الزقورة بالنسبة للعراقيين القدماء وأنها لا تمثل أكثر من ضرورة مساعدة للربط بين الأجزاء البنائية[٣٤] وأن سلم البرج يعدّ (سلماً للآلهة) وأن الآلهة تحتفظ بهذا الحق ، وحسب اعتقادي بأن هيرودت كشخصية إغريقية لا تفقه الخصوصيات العراقية والتفصيلات المعمارية. وليس أخيراً فأن الاعتقاد السائد أن هيرودت لم يحقق زيارة إلى بابل هي مسألة مفروغ منها ، وأنه اعتمد أحد الرواة حديثه عنها أو وصفه لها .

المصـــــادر :

١. بسترس حبيب، تاريخ هيرودت الشهير، مطبعة القديس جـاور حبـوس، بيروت ١٨٨٦-١٨٨٧ م ، الكتاب الأول ، فقرة ١٨١٨ ، ص .

2. H.J. Schmid, "Ergebnisse einer grabung am kern massive der ziqqurat in Babylon" in Baghdader Mitteilung 12 (1981) , 82-137 , (Bam).

3. Wetzel-Weissbach . "Das Mauptheiligtum des Marduk in Babylon" in Wissen Schaftliche Veroffen lichungen der Deutschen Orientgesell Schaf (WVDOG), 59 (1938), 31.

٤. نفس المصدر أعلاه.

5. H.J. Schmid, BaM, 12 (1981) , 96 .

6. Wetzel-Weisbach WVDOG , 59 (1938), 33 .

7. H.J. Schmid Bam, 12 (1981) , 96 .

8. R. Koldewey : Das Wiederestandene Babylon Leipzig, 1925, 194 = (WEB) .

9. Th. Dom bar "Die untere Babelturmtreppe und ihr steigungsver haltnise" . Archiv fur Orientforschung = (Afo) , 11 (1936) , 66-71 .

10. Wetzel – Weissbach in WVDOG , 59 (1938) , 43 .

١١. نفس المصدر أعلاه ، ص٤٩-٥٦ .

12. Wetzel – Weissbach in WVDOG , 59 (1938) , 53, P. 2-19.

13. Th. Dom bart, Die Aufgangs Frage au Babelturm, in Journal of the society of Oriental Research = JSOR, 16 (1932) , 79-102..

14. A. Moberg Babels -Torn, En Oversikt, Universitets Aonsskrift Lund, 1918 .

15. E. Unger Babylon die Heilige stadt nach den Beschreibunger der Babylonier = (Babylon) Leipzig (1925) , 191-200 .

١٦. نفس المصدر أعلاه .

١٧. أنظر المصدر هامش ١٤ ، ١٥ .

18. Andrae – Wetzel, Derbabylonische Turm un MDOG, 71 (1932) , 1-15 .

19. A. Schott, Akkadisch sulahurn, in Zeitschrift fur Assyriologie = (ZA) , 40 (1931) , 1-28 .

20. Wetzel – Weissbach, in WODOG , 59 (1938) , 9 .

21. W.V. Soder : Assyrisches Haudworterbuch = (AHW) Wiesbaden.

22. Andrae – Wetzel in MDOG 71 (1932) , 6-7 .

23. O.E. Kavn, Herodotus description of Babylon, (I-IDB) Kopenhagen (1942) , 52 .

24. E. Unger (Babylon) , 199 .

25. St. Langdon, Die neubabylonischen Kohigs in schriften in Vorderasiatische Bibliothek IV = (VAB) , Leipzig, 1912 , NBP, 10011 IIV. 14-24 , NKN, 1 Col II, 2.46 .

26. H.J. Schmid BAM, 12 (1981) , 123 .

٢٧. نفس المصدر أعلاه .

28. H.J. Schmid Bam, 12 (1981) , 124 .

29. H. Frankfort, The Art and Architecture of the Ancient Orient Aarmonds Worth, 1954 , 78-79 .

E. Heinrich, "Tempel und Heiligtumerin Mesopotamien" in Denkmaler Antiker Architektur, 14, Text 252 n. 26 , Berlin, 1982 .

30. Andrae – Wetzels, in MDOG, 71 (1932) , 1-15 .

31. H.J. Schmid BAM, 12 (1981) , 134-137.

32. Th. Dombart, Der Stand des Babelturmproblems, Klio 21 (1927) , 164 .

33. Th. Dombart, JSOR, 16 (1932) , 91 .

34. Andrae – Wetzel MDOG , 71 (1932) , 7 .

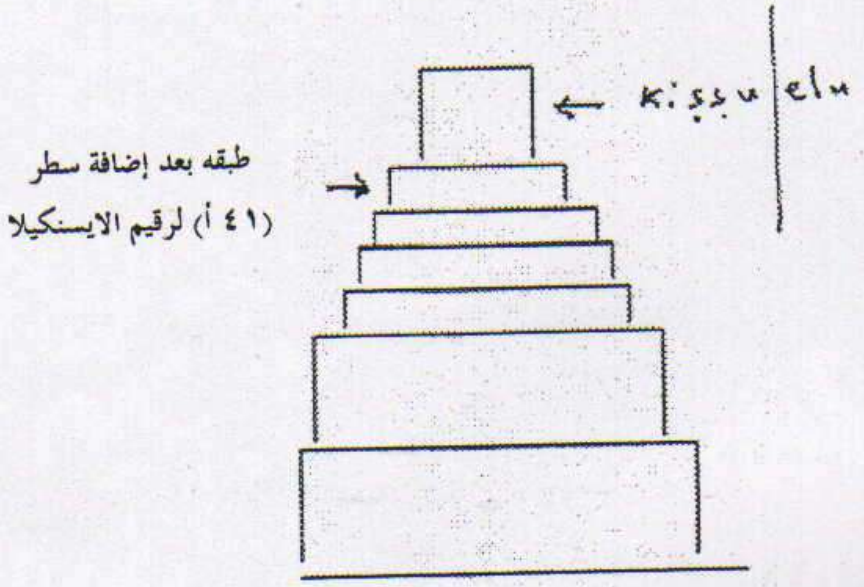

نموذج (شكل ١)

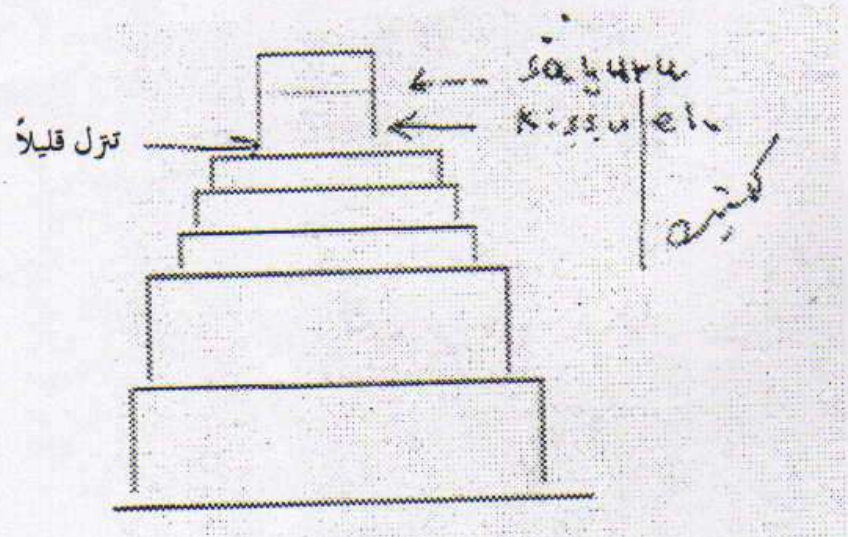

نموذج (شكل ٢)